

● أن الشعر الذي ينسب إلى قيس ينقسم إلى لونين متميزين :
شعر فاضت به أحداث الحياة على لسان الشاعر ، وشعر في البكاء على
الحبيب المفارق دون أن يرتبط بحادث معين ، وأن شخصية الشاعر
أوضح في اللون الأول منها في اللون الأخير الذي يشتبه في الأغلب بما
صدر عن غيره من العشاق . .

● رغم وفرة الشعر الذي عثرنا عليه عند قيس لا نخرج منه
بصورة واضحة عن « لبني » ، فهو لم يصفها غير ثلاث مرات ، وكان
وصفه لها وصفا مجملا قاصرا . .

● ليس في عبارة قيس ما يميزها على عبارة غيره من الشعراء
العذريين في العصر الأموي ، فهو مثلهم صاحب ألفاظ سهلة ،
وعبارات عذبة ، وأنغام حلوة تغلف مشاعر صادقة وانفعالات حارة ،
وشعره تلقائي مثل شعر العذريين جميعا ، يتسم بالصدق والحرارة
والبساطة والتعبير المباشر عما يجد الشاعر .

* * *

وقارىء شعر « قيس بن ذريح » لابد أن يتوقف عند كثير من
الأبيات الرقيقة العذبة الصادقة الانفعال ، ولكنه ما أن يأتي على الديوان
كله ، حتى يكون قد اقتنع بأنه لم يكن في صحبة شاعر كبير ، وأن هذه
الأبيات لم تكن لتكفي لتخليده لو أنها وصلتنا وحدها دون قصة حبه
المشبوب . . فهو مدين بالقسط الأكبر من شهرته إلى حبه للبنى ثم
حرمانه منها ، وما ترتب على ذلك من أخبار تناقلها الرواة عبر الأجيال ،